باب زينب

احمد عز الدين

استيقظي الآن في وحدتي،
إن دمي نافرٌ،
والطريق إلى مصرَ،
تمشي عليه الزنازينُ،
مغلقةً،
ويبقى العصاةُ،
وتذهب فيه الرماحُ،
ويبقى الرماةُ،
ولا شيء يرجعُ،
إلا الصدى والدوارْ.
استيقظي الآن في وحدتي،
إن دمي نافرٌ،
وجيادي الكظيمة تصهل فيهِ،
وتملأني وحشةً،
تحت قوس هلالٍ وليدٍ
وتتركني أسأل الأرضَ
عن باب زينبَ.
ضرعي تجف خلاياهُ،
والوقت يمضي إلى البحر،
ينزل فيه،
ويصبح زعنفة حرّةً،
وأبقى أسيراً على الرملِ
أرسم شكلاً لهُ،
وأعيد محاولتي مرّةً،
تحت قوس هلال وليدٍ
ولا شيء في أصبعي،
غير ملمس باب بعيد
ولا شيء في جبهتي،
غير نجمٍ،
تغرّب عن شفتي
ذات يومٍ
وشرّدني بين أسنانهِ
والبلاد.
أقول لها: قابعٌ،
بين رمشي وسيفي،
أقول لها: مقبلٌ،
بين صيف وصيفِ،
أقول لها: إن في القلب صحراء،
لم يأتها مطرٌ منذ عامْ،
وإن المشانق أعلى من القمحِ،
ليست سلالم قلبي،
حوافر خيلٍ.
لأركبها وأعود العشيةَ.
ليست منازل.قلبي،
حدائق وردٍ،
لأشتمّ فيها أريج بلادي،
وأنسى غبار المسافرِ.
نبضي استمرّ على جسمها،
يتسلق فرعاً طويلاً،
ويدخل بين التجاويف،
يلتفّ في زغب ناعمٍ،
ووسائد ريشٍ،
ويصعد مئذنةً وقباباً،
ولا صوت في حلقهِ،
لا حلق في وجههِ،
لا وجه في جسمه،
لا جسم في صوتهِ،
هل أعود إلى البحرِ،
أرقب وقتي يمر إلى الملإ
زعنفةً حرّةً،؟
وأبقى أسيراً على الرملِ
أسأل قاع القناطرِ،
عن باب زينبَ.
طمي الجزائرِ
عن باب زينبَ
صخر المنائرِ
عن باب زينبَ.
زينبُ،
لا ينتهي الرملُ،
لا يبدأ العمرُ،
والذكريات تمرّ إلى الحانِ،
تشرب حدّ الجنونِ،
وتجلد أغصان قلبي المحاصرِ،
هذا الهلال الوليدُ،
يلامسني برهةً،
ويفرّ مع الوقتِ،
زعنفةً حرّةً،
وأبقى أسيراً على الرملِ،
أصطاد شبئاً من الرملِ،
أطعمه النفَس المحضَ،
أطلق منه جناحاً صغيراً،
وأنفخ فيهِ،
ولا نبض في الرملِ،
زينبُ..،
إن لنا فسحةً،
في بلادٍ،
تضيق على اللحدِ.
زينبُ..،
إن لنا شرفةً،
في بلادٍ،
تعاقر لحم البعيدينَ،
تأتي الزنازينُ
مغلقةً،
والعصاة القريبون،
يمضون للبحرِ،
زعنفةً حرّةً،
والمساء القريبُ،
من القلبِ،
يمشي أمام دمٍ طازجٍ،
وجدار بعيد
يلامس قوس الهلال الوليد
ويمضي إلى البحر
زعنفة حرّةً
وأبقى أسيراً على الرمل
أسأل قاع القناطرِ،
عن باب زينبَ،
أسأل طمي الجزائرِ،
عن باب زينبَ.
أسأل صخر المنائرِ
عن باب زينبْ..